

1. لا يوجد خلاص عن طريق الناموس .
2. ليس ضرورياً أن تكون مختوناً لكي تخلص .
3. الخلاص يُمنح للإنسان بالإيمان مستقلاً عن الناموس.

على أي حال فقد برهن بولس الرسول أن حقيقة التبرير بالإيمان، قد أعلنت بالناموس والأنبياء (3 : 21)، وها هو الآن يتوجه إلى العهد القديم، الذي يبجله اليهود؛ ليؤكد ذلك. ويتابع إثبات ذلك من قصة حياة إبراهيم ، مع إشارة مقتضبة إلى داود. دعونا نفند حجته آية بآية.

إبراهيم تبرر بالإيمان

عدد1 : يتفق اليهود على أنه ليس هناك مَنْ هو أعظم من إبراهيم، من بين كل الرجال الأبرار، في العهد القديم. فماذا عن إبراهيم إذن؟

عدد2 أ: إذا كانت الأعمال تبرر الإنسان أمام الله ؛ فإن نجاح إبراهيم في ذلك يكون أقل كثيراً من معظم الباقين .

عدد2ب - 3: لم يكن هذا هو الطريق لتبرير إبراهيم. يسجل لنا الوحي المقدس: " فأمن (إبراهيم) بالرب، فحسبه له برّاً" (تك 15 : 6). لقد أعطى الله لإبراهيم وعداً مستقبلياً، وكان من المستحيل - بحسب الفكر البشري - أن يتحقق هذا الوعد. ولكن - وعلى الرغم من ذلك - آمن إبراهيم بالله، والله حسب له ذلك برّاً.

عدد4: هكذا كان إبراهيم مقبولاً من الله. لم يكن قبوله على أساس الأعمال؛ بل بالإيمان. بره قد وُصِف بأنه شيء أعطي له بالإيمان. عندما يعمل الإنسان شيئاً، فإن ذلك الشيء يكون حقاً له، إنه شيء يمتلكه. لو كان إبراهيم يستحق برّه؛ لوُصِف البر على أنه بمثابة

أجره أو حق له؛ وليس كهبة. ولم يكن من الممكن أن يستخدم الكتاب المقدس هذه اللغة على الإطلاق؛ لو أن برّ إبراهيم كان نتيجة عمله هو.

عدد5: وعندما لا يحصل الشخص على برّه بعمله هو، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر؛ فإن ذلك الإيمان يمكن أن يُحسب له برًا – يعتبر له ذلك البر ويُنسب له.

عدد6 - 8: وإبراهيم ليس هو المثال الوحيد على ذلك. هل تتذكر كلمات داود في مطلع المزمور الثاني والثلاثين؟ إنه يرى أن أعظم بركة يمكن تخيلها، أن خطيته لا تُحسب له. إن داود هنا لا يتحدث كإنسان واثق من أنه فعل حسنًا، لدرجة أن يعتبر من غير الممكن أن تُحسب له خطية؛ لكنه يتحدث كإنسان يعرف جيدًا أن الخطية لا بد وأن تُحسب عليه؛ لكنها لا تُحسب. إنه الإنسان المقبول من الله على أساس أمور أخرى غير الأعمال. ويتحدث داود في هذا المزمور عن احتساب البر؛ وليس استحقاق البر. (ودراسة هذا المزمور تُوضح أن أساس رجاء داود، أنه قد اعترف بخطيته لله، وبالإيمان ألقى بنفسه على رحمة الله طالبًا العفو.)

لذلك أعلن بولس الرسول أن تبرير رجال الله في العهد القديم لم يكن بأعمالهم؛ ولكن بالنعمة، ومن خلال الإيمان. واللغة اليونانية المستخدمة تُظهر بوضوح أن الإيمان لم يكن السبب في تبريرهم؛ لكنه كان الوسيلة التي بواسطتها حصلوا على تبرير الله.

ويجب أن ندرك أن هذا البر الذي نالوه، قد نُسب إليهم وحُسب لهم. هؤلاء الرجال لم يتمتعوا بالكمال الأخلاقي، ولم تكن حياتهم كاملة على الأرض. لقد نالوا شيئًا يمكن أن يحسب لهم شرعًا، والذي أعطى لهم وضعًا جديدًا في نظر الله، وأعطى لهم أيضًا طبيعة جديدة مع هذا الوضع؛ وبالتالي فإن الأعمال الصالحة نبتت من هذه الطبيعة الجديدة. إن الفكرة الأساسية التي يريد بولس الرسول أن يوضحها هنا هي أن هؤلاء الرجال،

وإبراهيم على وجه الخصوص، قد حُسيوا أبراراً في نظر الله، على أساس آخر غير الأعمال، وأن البر المقصود، حصلوا عليه بالإيمان.

لم يكن للختان دور في تبرير إبراهيم

عدد9: حسنٌ جداً – إن التبرير بالإيمان. إننا نستطيع أن ندرك ذلك، ولكن هذا المبدأ ينطبق فقط على إبراهيم نفسه، وعلى أولئك الذين قد اختتنوا من نسله – الذين يحملون في أجسادهم تلك العلامة الخارجية والمنظورة، على عهد الله مع جدهم (إبراهيم).

هنا مكنم الخطر، إذ يوجد دائماً أولئك الذين يريدون أن يصدقوا أن التبرير بالإيمان بالإضافة إلى شيء آخر. هذه الفكرة كانت موجودة، حتى في أيام بولس الرسول، كما يوضحها سفر الأعمال والرسالة إلى أهل غلاطية. لكن الأمر ليس كذلك: فالتبرير هو بالإيمان فقط. انظر كيف يوضح الرسول بولس ذلك.

عدد10: ما هي الحالة التي كان عليها إبراهيم، عندما حُسي له برّاً؟ هل كان مختوناً أم لا في ذلك الوقت؟ لقد كان غير مختون. إنه لم يُختن إلا بعد ذلك بأربع عشرة سنة.

عدد11 أ: عندما حُتن إبراهيم؛ كان الختان هو العلامة الخارجية والختم على برّه أمام الله، هذا البر الذي تمتع به إبراهيم قبل الختان. وواضح تماماً أن إبراهيم قد تبرر بالإيمان، دون أي علاقة بالختان على الإطلاق. هذه الحقائق التي ذكرت عن إبراهيم، تُظهر أنه لا علاقة للختان أو الغرلة بتبرير الشخص أمام الله. أي رجاء هذا للأمم! الله هو إله الأمم، كما أنه إله اليهود، كما رأينا.

عدد11 ب - 12: هل تستطيع أن تدرك معنى هذا؟ يقول اليهود إن إبراهيم أبوهم، ولا يتمتع أي شخص آخر بهذا الامتياز. إنهم مخطئون، فإبراهيم هو أبو المؤمنين غير

المختونين؛ لأنه هو نفسه كان غير مختون عندما تبرر، كما أنه أبو المؤمنين المختونين، ليس لأنهم مختونون مثله؛ ولكن لأن لهم إيماناً مثل إيمانه.

أولئك الذين تبرروا بالإيمان هم أبناء إبراهيم. هؤلاء هم نسله الحقيقي. إنه لمن الأهمية العظمى أن نفهم ذلك، وسوف نؤكد ذلك ثانية بعد قليل. إذا لم تدرك هذه الحقيقة، ستواجه صعوبات كثيرة، عندما تحاول أن تفسر الأصحاحات من التاسع وحتى الحادي عشر، من هذه الرسالة. إذا، لم يقدم الختان شيئاً لتبرير إبراهيم، ولنواله البركات الملازمة لهذا التبرير، ولم يمكن للناموس أن يقدم هذا كما سنعرف الآن.

لم يكن للناموس دور في تبرير إبراهيم

عدد 13: هل تتذكر وعد الله لإبراهيم بأن فيه تتبارك جميع قبائل الأرض؟ حسناً، من هم الذين دخلوا في هذا الوعد؟ من هم الذين نالوا هذا الامتياز الإلهي مثل إبراهيم؟ من هم الذين قبلهم الله كما قبل إبراهيم؟ من هم الإجابة هي: ليس الذين يحفظون الناموس؛ لكن الذين تبرروا بواسطة الإيمان.

عدد 14: يمكن أن نرى ذلك بسهولة. لقد أعطى الله هذا الوعد لإبراهيم، قبل أن يُعطي الناموس بحوالي 430 سنة (كما تشير رسالة غلاطية). إنك لا تستطيع أن تقدم وعداً، ثم تقول إن إكمال الوعد سوف يعتمد على الناموس – الذي لم يكن له أي ذكر – عندما تُعطي هذا الوعد. إذا فعلت ذلك؛ فإن الوعد لن يكون بعد وعداً، إنه سيكون بياناً أو تصريحاً، يمكن أن يكون صحيحاً أو لا؛ فصحته تتوقف على حفظ الشروط التي لم تذكر بعد.

إن وعد الله هو وعد واضح، وبدون شروط. إنه تعهد أن يشترك نسل إبراهيم في بركة إبراهيم، والوعد لم يذكر الناموس، ولم يذكر أن تحقيق الوعد يتوقف على الناموس. من الواضح إذا أنك لا تشترك في بركات إبراهيم عن طريق حفظ الناموس. إنك تشترك في هذه البركات عن طريق آخر. هذا الطريق هو الطريق الوحيد، الذي من خلاله دخل إبراهيم نفسه إلى هذه البركات. إنه الإيمان.

عدد15: أولئك الذين يحاولون أن يحفظوا الناموس يفشلون. إنهم ينجحون فقط في استئصال غضب الله عليهم. الناموس يعرف ما هي الخطية؟ وحيث لا يوجد ناموس؛ لا يوجد انتهاك للناموس. وحيث لا يوجد تعريف للخطية؛ فلا يمكن أن نقول عن شيء إنه خطية. لكن عندما يوجد الناموس؛ يظهر أيضاً كسر الناموس. إن خطيتك ظاهرة، ومن الواضح تماماً أنك لا يمكن أن تتبرر أمام الله عن طريق حفظ الناموس.

تري هل نجحت في متابعة مناقشة بولس الرسول؟ إذا لم يكن الأمر كذلك فلا تقلق؛ لكن عليك أن تفهم فكرته الرئيسية. نسل إبراهيم الحقيقي هم أولئك الذين لهم إيمان إبراهيم، إنهم أولئك الذين وعدهم الله بالتبرير، والتساؤل عن حفظهم للناموس لا تأثير له.

نكرر، تبرير إبراهيم كان بالإيمان

عدد16: تبرير إبراهيم، والبركات المصاحبة لهذا التبرير، كانت بركات دون استحقاق. لقد صارت له بالإيمان، وأعطيت له بنعمة الله، والطريقة التي تعامل الله بها مع إبراهيم، هي نفس الطريقة التي يتعامل بها مع كل أنسائه. هذه الأنسال ليست محدودة

باليهود، الذين لهم الناموس. إن أنسال إبراهيم تشمل كل الذين لهم إيمان مثل إيمان إبراهيم. كل المؤمنين يمكن أن يعتبروا أنفسهم أنسال إبراهيم.

عدد 17 أ: يمكننا أن نفهم الآن ما كان يقصده الله، عندما دعا "أبرام" باسم "إبراهيم"، أي "أب لجمهور من الأمم". لأنه أب لجميع المؤمنين - اليهود والأمم على حد سواء.

عدد 17 ب: لكن تأمل في نوعية إيمان إبراهيم، لقد آمن بأن الله هو الذي يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة.

عدد 18: لقد وعد الله إبراهيم أنه سيكون أباً للأمم كثيرة، وسيكون عدد نسله هائلاً جداً. وآمن إبراهيم بذلك الوعد؛ لأن الرب تكلم به، على الرغم من أنه بحسب الفكر البشري، لم يكن هناك أي رجاء بتحقيق هذا الوعد على الإطلاق.

عدد 19: في ذلك الوقت، لم يكن لدى إبراهيم أولاد، وكان قد تخطى العمر الذي يتوقع فيه أن يكون أباً، وكانت سارة زوجته مسنة جداً عن أن تكون أمًا، علاوة على أنها كانت عاقراً.

عدد 20 - 21: لم يخدع إبراهيم نفسه، فيما يتعلق بحقيقة الموقف، لقد درس ما قاله الله بعناية، ودرس كل العقبات الظاهرية، التي تحول دون حدوثه، ووصل إلى الاستنتاج بأن الله قادر أن يفعل ما تكلم به؛ على الرغم من كل العقبات التي ظهرت. والواقع أن الاستحالة الظاهرية لحدوث هذا الأمر، زادت من ثقته؛ بدلاً من أن تسبب تردد تلك الثقة. لقد ألزم نفسه بتصديق ما قد قاله الله.

عدد 22: هنا هو الإيمان! وبواسطة هذا الإيمان، حسب له الله برًا.

الوعد بالتبرير لا ينطبق على إبراهيم وحده

عدد23: إن المبدأ الذي تبرر إبراهيم على أساسه، لا ينطبق على إبراهيم وحده.

عدد24 - 25: إنه يسري على كل المؤمنين. إنه يسري علينا "إن كنا نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات، الذي أسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا".

إن حجة بولس الرسول تسير في دائرة كاملة، ولقد بدا أنها تقصد اليهود وحدهم؛ لكنها دارت لتعود إلينا. إن الرسالة إلى رومية تخبرنا عن حالتنا أمام الله، كما أنها تخبرنا عن بر الله. ونحن نعلم أن هذا البر يُحصل عليه بالإيمان، وكان كذلك دائماً. وقبول بر الله لا يعتمد على الطقوس، ولا على حفظ الناموس، ولكن بالإيمان وحده، يمكن أن نحصل على هذا البر.

ويعلمنا الكتاب المقدس، أن الشخص يعتبر قد نال الإيمان المخلص، عندما يعرف الحق اللازم لخلاصه، ويصدقّه، ويعتمد عليه، ويثق به. ومن الضروري أن نمتحن أنفسنا، لنرى إن كان لنا مثل هذا الإيمان، والوقت الذي نقضيه في امتحان أنفسنا، لن يكون وقتاً ضائعاً.